المحاضرة 13

تابوتُ العهد

أهلًا بكم مُجدّدًا في محاضرتنا الأخيرة من هذه السلسلة عن خيمة الاجتماع. آمل أن تكون رحلتنا هذه غنيّة لكم في التأمّل بتفاصيل الخيمة المتعدّدة، التي غالبًا ما تكون مجهولةً أو غير مفهومة. ولتحقيق أقصى استفادة من هذا الدرس، أنصحكم بأن تأخذوا الوقت لقراءَة خروج 25: 10–22، وأيضًا مراجعة الإصحاح 37.

كملَخّص لما تعلّمناه حتّى الآن: كان كلُّ جزءٍ من خيمة الاجتماع يشير إلى أمر واحد: الخلاص الكامل من الخطيّة. فالساحة الخارجيّة تشير إلى الولادة الجديدة، وهو عملُ الله، حيث يخلّصنا من سلطان الخطيّة. ثمّ نجد المذبح النحاسيّ: رأينا أنّه يرمز إلى التبرير. هذا يكشف طريقة الله للخلاص من ذنب الخطيّة. وبعد المذبح مباشرة، نجد المرحضة. وماؤها الطاهر يرمز إلى عمل التقديس بواسطة الروح القدس، ويعلن بروعة جانبًا آخر من الخلاص، وهو التحرّر من دنس الخطيّة. وأخيرًا، حين ندخل إلى القُدس، حيث لا نرى إلّا الذهب، فهذا يرمز إلى التمجيد: المرحلة النهائيّة للخلاص.

والتمجيد هو الخلاص النهائيّ من كلّ آثار الخطيّة ومن وجودها. ترون إذًا كيف أنّ خيمة الاجتماع هي صورة بصريّة رائعة لما ورد في 1 كورنثوس 1: 30: "وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٱلَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ ٱللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً." وأضاف بولس بحقّ الكلمات التالية: "مَنِ ٱفْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِٱلرَّبِّ." له المجد وحده لخلاصنا

نحن الخطاة.

لنقترب أخيرًا من قُدس الأقداس. عندما سأل شِمَع الكاهن المشرف عمّا يوجد أيضًا في الخيمة، ربّما أجاب الكاهن هكذا: "يا ابني، كم مرّة وقفتُ أمام ذلك الحجاب الداخليّ الجميل، وبينما كنت أستمتع بمشاهدة صور الكروبيم وهي تحدّق بنا ونحن نخدم في القُدس، تمنّيت أحيانًا لو أستطيع النظر خلفه، لكنّني لم أدخل يومًا خلف ذلك الحجاب الثاني. قدس الأقداس أرض مُحرّمة علينا نحن الكهنة. رئيس الكهنة فقط من يحقّ له الدخول. وحتّى هو يحقّ له بذلك مرّة واحدة في السنة فقط. دعني أذكّرك يا شِمَع أنّ الستائر في هذه الخيمة ليست للزينة فقط، بل لتؤكّد على الفصل. فهل تعلم أنّ كلمة "حجاب" في لغتنا تعني "الفصل"؟ بها يُخبرنا الله بالحاجة لمسافة بينه وبيننا: انفصال أو حدود. يذكّرنا هذا أنّ الله أمر موسى بأن يطرّز صور الملائكة القدّيسين على ذلك الحجاب الداخليّ المؤدّي إلى قدس الأقداس. ألا تذكّرك تلك الملائكة بالكروبين اللذين وقفا يحرسان مدخل الجنّة بعد أن طرد الله والدَيْنا من حضوره بسبب خطيئتهم؟"

"يا ابني شِمَع، هل عرفت يومًا سبب طردنا من حضرة الله؟ هل تدرك أنّ خطاياك أنت أيضًا تفصلك عن خالقك؟ هل تعلم أنّ إله القداسة لا يستطيع أن يكون له شَرِكة معك؟ لا يمكننا الوصول إليه إلّا من خلال الصلاة والعبادة، بعد أن تتحقّق شروطَه العادلة، كما وردت في شريعته المقدّسة. أليس ذلك رسالة رائعة، يا شِمَع، يمنحنا الله إيّاها في كلّ هذه الخيمة، أنّه قد أعدّ طريقًا ليسكن بيننا، وهكذا يستطيع أيضًا أن يقبَلَنا مرّة أخرى في الشركة معه؟"

لنتأمّل الآن في تفاصيل قُدس الأقداس. الغرفة مُكعّبة تمامًا بقياس خمسة أمتار من كل ناحية. كما في القُدس، كلُّ شيء كان مُغطّى بالذهب ما عدا الحجاب والسقف. كانا من الكتّان الأبيض المنسوج بثلاثة ألوان. وكما رأينا، جميعها ترمز إلى المسيح يسوع.

ومع ذلك، التركيز الرئيسيّ لقدس الأقداس هو التابوت: تابوت العهد. تلك القطعة الواحدة من الأثاث هي

في الحقيقة محور كل ما بُني حوله باقي الخيمة. إنّه أقدس قطعة أثاث في الخيمة. يرمز التابوت إلى المكان الذي يجلس فيه الله على العرش: على عرشه. عند التابوت يجتمع الله مع شعبه، كما جاء في خروج ٢٥: ٢٢: "وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى ٱلْغِطَاءِ."

التابوت، الذي ذُكر أكثر من مئة وسبعين مرّة في الكتاب المقدس، لم يكن ضخمًا. كان صندوقًا مستطيل الشكل صغير الحجم، طوله نحو متر و١٢٥ سنتيمترًا، وعرضه وارتفاعه نحو ٧٥ سنتيمترًا. وكما هو متوقع، صُنع من خشب السنط ومغطّى بالذهب. وكما تعلّمنا، هو يشير إلى الطبيعة المزدوجة للمسيح. سأضيف بعض الأفكار حول الخشب الذي استُخدم لصنع هذا التابوت.

خشب السنط، أو شجرة الأكاسيا التي استُخدمت، يقال إنّها الأكثر دوامًا من بين جميع أنواع الأخشاب. كانت الشجرة الوحيدة التي تنمو في الصحراء بحجم كبير، وقادرة على النموّ حتّى في أشدّ الظروف قسوة. والمثير للاهتمام أنّ هذه الشجرة كانت تنتج الصمغ العربي، وهي مادة ذات قيمة عالية وتُستخدم كدواء. والطريقة الوحيدة لجمعها كانت بخرق الشجرة في الظلام. عندما عرفت هذه الأمور عن تلك الشجرة، لم أستطع إلّا أنْ أرى فيها صورة للربّ يسوع المسيح.

على أيّ حال، الجزء الأكثر إثارة للاهتمام في التابوت كان الغطاء. وقد سُمّي "كرسيّ الرحمة"، أو حرفيًّا: "عرش الرحمة". ما الذي ميّز هذا الغطاء؟ صُنع الغطاء من لوح صلب من الذهب الخالص. بكلام آخر، انتبه جيّدًا، لم يُستخدم أي خشب في كرسيّ الرحمة. وهذا له دلالة مُهمّة. نعم، له دلالة؛ فهو يكشف أنّ عرشَ الله نفسَه لا يدخل فيه شيء من الأمور البشريّة. وما جعل مقعد الرحمة أكثر تميّزًا هو شكلَي الملاكَين الواقفين عند طرفيه. لم يُلصقا أو يُلحما به، بل شُكّلا من لوح الذهب نفسه، كأنّهما جزء واحد من الغطاء. كم هذا رائع! ومن منظور حِرَفيّ، كرسيّ الرحمة هذا مع الكروبيم يتجاوز كلّ قدرة بشريّة.

كان كرسيّ الرحمة بأكمله يُشير إلى الألوهيّة في كلّ تفاصيله، ولا شيء غير ذلك. إنّه العرش الوحيد الذي

يستحقّه إله عظيم إلى هذا الحدّ ومجيد، وفوق الكلّ ورحيم. هل لاحظتَ أنّه لم يُدعَ "كرسيّ العدالة"، بل دُعي "كُرسيّ الرحمة"؟ إنّه العرش الذي يمكن لله أنْ يجلس عليه كما لو كان بين الناس وهو متسربل بالرحمة! ولكن كيف يكون ذلك ممكنًا؟ كيف يكون الله رحيمًا، وهو الإله العادل والمستقيم، المتمسّك بكلمته؟ أتساءَل إن كانت الإجابة على هذا السؤال في الطريقة التي وُضع بها الملاكان على الغطاء. فهما لم يقفا فوق الغطاء شاخصَين إلى السماء في سجود، ولا ملتفتَين جانبًا نحو الشعب الذي يتقدّم أمام العرش. لا، بل نظرا إلى أسفل، في وضع يُشير إلى البحث.

في بطرس الأولى ١: ١٢، يكتب الرسول عن نبوءات العهد القديم وعن الخلاص، ويضيف عن الملائكة: "تَشْتَهِي ٱلْمَلَائِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا." بكلام آخر: انحنوا ليتأمّلوا بفضول. يا لها من عبارة بليغة، وهذا يذكّرنا بشكل الملاكَين على كرسي الرحمة على التابوت. أي إنّ الملاكان كانا فضوليَّيْن. ولكن بشأن ماذا؟ بشأن انكشاف قصّة الخلاص، من خلال تجسّد سيّدهم، ابن الله.

فلنفكّرْ الآن في الأسماءِ المختلفةِ التي أُعطيت للتابوتِ في الكتابِ المقدّسِ. كما هو الحالُ دائمًا، فالأسماءُ الكتابيّةُ تكشف عن أمور أخرى. في خروجَ 25: 22 يقدّمُ النصُّ الاسمَ الأكثرَ تكرارًا: "تابوتُ الشهادةِ." التابوتُ يشهدُ: كلُّ جانبٍ منه يشهد عن قداسةِ اللهِ وجلالِهِ ونعمَتِهِ، وفوقَ كلِّ ذلك عن رحمَتِهِ. في داخلِ التابوتِ، طُلب من موسى أن يضعَ لوحيَ الشريعة تحتَ كُرسيّ الرحمةِ. هذا يشهدُ أنّ عرشَ اللهِ قائمٌ على الشريعة، شريعة الله المقدّسة. في سفر العدد 10: 33 يُدعى التابوتُ "تابوتَ العهدِ"، وهذا يبرزُ بجمالٍ العلاقةَ الحميميّةَ والشخصيّةَ بين اللهِ وشعبِهِ. أرادَ أن يسكنَ بينهم، وقد اعطى ذلك في عهدِ نِعْمَتِهِ. ثمّ في يشوعَ 3: 13 يُسمّى "تَابُوتِ ٱلرَّبِّ سَيِّدِ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا." كم كان هذا مُشجّعًا ليشوعَ ولشعبِهِ أمامَ غزوِ كنعانَ، مقابلَ نهرِ الأردنِ. أمّا قوّةُ اللهِ لصالحِ شعبِهِ فنراها في الاسم الرابع للتابوتِ: "تَابُوتُ عِزِّكَ" في مزمورِ 132: 8. في زمنِ يوشيا، دُعيَ أيضًا "التابوتُ المقدّسُ." وقد أدرك هذا الملكُ الشابُّ، كما أدركَ جدُّه داودُ، أنّ استعادةَ العبادةِ الصّحيحةِ للهِ هي مفتاحُ البَرَكة

على الأمّةِ. فكلّما أكرمتْ أُمّةٌ القدُّوسَ وأظهرت مجدَهُ، ارتفعت تلكَ الأُمّةُ ونالتِ البَرَكة.

بحسبِ ما وردَ في عبرانيّين 9: 4، احتوى التابوتُ أيضًا على ثلاثةِ أشياءٍ. لقد ذكرنا لوحي الشريعة، لكن أوّلًا كان في التابوتِ: "قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ ٱلْمَنُّ" ليُذَكِّرَنا بأمانةِ اللهِ العجيبةِ في عهدِهِ، إذ وفَّرَ الخبزَ اليوميَّ في رحلةِ البريّةِ. ثمّ ثانيًا، وضع لوحا الشريعةِ اللذان من حجر، لنتذكّر بأنّ عرشَ اللهِ قائمٌ على الشريعةِ المقدّسةِ. وثالثًا، عصا هرونَ التي أفرخت، وغالبًا ما تُفْهَمُ كرمزٍ لقيامةِ يسوعَ المسيحِ.

بعد أن استعرضنا هذه التفاصيلَ القليلةَ، سأختتمُ بالإشارةِ إلى بعضِ الحقائقِ الروحيّةِ في تابوتِ عهدِ الربِّ. أوّلًا، يوضّحُ قدسُ الأقداسِ كلُّهُ، مع الدخولِ المحدود إليهِ، أنَّ الربَّ الإلهَ قدّوسٌ في مجدِهِ. فهنا، في غرفةِ العرشِ، العرشِ الذي رآه إشعياءُ في الرؤيا، حيثُ هتفَت الملائكةُ: "قدّوسٌ، قدّوسٌ، قدّوسٌ، رَبُّ الجنودِ، مجدُهُ ملءُ كلِّ الأرضِ" نرى أنَّ الاقترابَ إليه بخفّةٍ قد يكونُ مميتًا، بل سيكونُ كذلك، لأنَّ الرّبَّ نارٌ آكلةٌ. لذلك علينا أن نعبدَ الرّبَّ بخوفٍ ووقار، وأن نفرحَ برعدةٍ، كما جاء في المزمور 2: 11. فينبغي يا أصدقائي أن نصلّي طالبينَ النعمةَ التي بها نخدمُ هذا الإلهَ، ونتكلّمُ معهُ بخشوعٍ وخوف مقدّس.

ثانيًا، مع أنَّ الرّبَّ الإلهَ قدّوسٌ، فإنَّه أيضًا إلهٌ رحيمٌ، مملوءٌ نعمةً ومَهيب. وبشكل خاصّ، يدعو اللهُ هذا العرشَ "عرشَ الرحمةِ." حقًّا، لا يوجدُ عرشٌ مثلَ عرشِ يهوه. فمع أنّه قدّوس وعادل، ومع أنّه مجدَ السماءِ، فقد أظهرَ أنَّهُ إلهُ رحمةٍ ونعمةٍ. وفي يسوعَ المسيحِ، يكشفُ اللهُ قلبَهُ. ففيه يا أصدقائي، نرى كيف مَهَّدَ الطريقَ الذي بهِ يستطيع هو ونحن أن نعودَ إليهِ ونُصالِحَهُ. ولم يَفعل ذلكَ بتردّدٍ، ولا استجابةً لتضرُّعاتِنا المُلحّةِ، بل رتَّب هذا الطريقَ منذ الأزلِ. وقد أعلنهُ منذُ يومِ تمرُّدِنا في الجنّة. ومع أنَّه لم يتركْ يومًا عرشَ القداسةِ، فقد جعلهُ عرشَ رحمةٍ. لقد وضعَ تدبيرًا تُمارَسُ فيه الرحمةُ من دونَ أن تُهمَلَ الشريعةُ المقدَّسةُ والعدالة. كيف ذلك؟ كان هذا يُصوَّرُ رمزيًّا كلَّ عامٍ في يومِ الكفّارةِ. ثلاثَ مرّاتٍ في ذلك اليوم، كان رئيسُ الكهنةِ يدخلُ بدمِ الذبيحةِ إلى محضر الله، ويرشُّهُ على كرسيِّ الرحمةِ. وفي ذلكَ الذبيحِ البديلِ، حدّد اللهُ الطريقَ الذي يُرضيه، واستطاعَ أن

يمدَّ نعمة رحمته إلى الخطأةِ المذنبينَ.

عندما نأتي إلى العهدِ الجديدِ، نجدُ أنَّ كلمتَي "كرسيّ الرّحمةِ" كُتبتا بكلمةٍ أصعبَ، ولكنَّها في غايةِ الأهمّيّةِ: "كفّارة." خذْ مثلًا ما وردَ في رسالةِ يوحنّا الأولى ٢: ٢: "وَهُوَ كَفَّارَةٌ" أو كرسيّ الرحمة، "لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ ٱلْعَالَمِ أَيْضًا." وفي رسالةِ يوحنّا الأولى ٤: ١٠، يَمدحُ يوحنّا محبّةَ اللهِ، إذ جعلَ ابنَهُ كرسيَّ رحمةٍ لأجلِنا: فِي هَذَا هِيَ ٱلْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا ٱللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ٱبْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا." في هذه الشهادة، يشهد اللهَ بأنَّهُ مُستعِدٌّ أن يقبلَنا نحنُ الخطأةَ عندَ كرسيّ رحمتهِ. فبدلًا من أن يجلسَ على عرشِ المجدِ المهيبِ، مُحاطًا بجلالِه الملوكي، يَكشِفُ اللهُ في "كرسيّ الرحمةِ" هذا أنَّهُ راغبٌ، وقادرٌ أن يقبلَنا بالنعمةِ في ذاكَ الابنِ المحبوبِ، يسوعَ المسيحِ.

في كلِّ عامٍ، في ذلك الطقسِ المُهيبِ، كان يُرشُّ كرسيُّ الرحمةِ بدمِ الذبيحةِ. وجميعُ تفاصيلِ ذلك مذكورةٌ في اللاويّين، الإصحاح ١٦. أوّلًا، كان رئيسُ الكهنةِ يُدخِلُ إلى قدسِ الأقداسِ مِجمرةً ذهبيّةً فيها جمرٌ وبخورٌ، فيملأُ المكانَ كلَّهُ برائحةٍ عَطرةٍ. ثم يعودُ إلى المذبحِ النحاسيّ، ليأخذَ دمَ الذبيحةِ في طَستٍ، ويدخلُ به مرّةً أخرى إلى قدسِ الأقداسِ، وهناكَ كان يرشُّ الدمَ سبعَ مرّاتٍ على كرسيّ الرحمةِ. وهذا الدمُ المرشوشُ كان يرمزُ إلى الثمنِ المدفوعِ، المدفوعٌ بالكامل، لذلك يستطيعُ اللهُ أن يُظهِرَ رحمتَهُ. وأمّا رقمُ سبعة، فهو عددُ الكمالِ، وهكذا أعلَنَ اللهُ في تلك المرّاتِ السبع ما نادى به يسوعُ على الصليبِ: "قد أُكمِلْ."

لا يوجد اليوم خيمةُ اجتماعِ أرضيّة. ولا يوجد تقديم ذبائحُ دم. ولا يوجدُ قدسُ أقداسِ مخفيٌّ وراءَ حجابٍ سميك. لا، بل في العهد الجديد، نرى كشفًا عن خيمةٍ روحيةٍ في السيدِّ الحيّ والقائمِ من بين الأموات، يسوع المسيح. فيه، أرضى اللهُ جميعَ متطلباتِ شريعتهِ العادلة. وبفضل رحمتهِ، أزالَ الحاجزَ الذي يفصلنا عنه، والذي الحجابِ يرمز إليه وقد انشقّ الآن. كلُّ الإنجيلِ يطمئنُّنا أنَّنا نحنُ الخطاةُ مُرحّبٌ بنا لنقتربَ بجرأةٍ إلى كرسيّ النعمة. اسمعوه مرّةً أخرى من رسالة العبرانيين: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِٱلدُّخُولِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا

كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِٱلْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ." (عبرانيين ١٠: ١٩–٢٠).

الأمر الذي كان يستحيل أن يتخيّله أي يهودي أصبح الآن امتيازَنا. يمكننا أن ندخل إلى محضر الله القدّوس في المسيح. أصبح الآن ممكنًا لإلهنا القدّوس والعادل أن يسكن معنا، مع شعبه، وأن يكون له معنا شَرِكة. وهذه الشَرِكة مُمكنة بطريقة واحدة فقط: دمُ الذبيحة. أو بلغة العهد الجديد: الصليب.

ثالثًا وأخيرًا، إنَّ التابوتَ مع كرسيّ الرحمة من الذهبِ الخالص، يُعلِنُ مرّةً أُخرى حكمةَ الله. لم يَدخُل أيُّ عنصرٍ بشريّ في طريقةِ الله للخلاص. لم يكن له مُشير، ولم يخطر على بالِ أعظم عقولِ العالمِ قطّ هذا التدبير. وقد دعا بولسُ الربَّ يسوعَ المسيح "حكمةَ الله" في ١ كورنثوس ١: ٢٤. كأنّ الله قد جمع كلَّ حكمته في خطّة الخلاص، بتجسّدِ ابنِه يسوع المسيح. ففيه أُكرِمَت جميعُ صفاتِ الله: قداستُه تحقّقت وعدالتُه حُفِظَت بالتمام وحقُّه ثُبِّت ورحمتُه سُكِبَت ونعمته مُورِسَت، وكلّها وقفت في انسجامٍ إلهيّ واحد، مُظهِرةً طريقَ الخلاص. وبِلُغةٍ شعريّة، يُنشِدُ بنو قورح في المزمور ٨٥: ١٠: "ٱلرَّحْمَةُ وَٱلْحَقُّ ٱلْتَقَيَا. ٱلْبِرُّ وَٱلسَّلَامُ تَلَاثَمَا." كلّ ذلك من الله، وكلّه فعلَه الله. له كلُّ المجد، وكلُّ الحمد، وكلُّ الشكر على هذا الخلاص العظيم.

أصدقائي، للأسف، سأختتم سلسلة المحاضرات هذه بجزء من الكتاب المقدس غالبًا ما يُهمل كثيرًا. وأدرك أنّي في كلّ هذه المحاضرات لم أتناول إلّا القشرة الخارجيّة من رسالة الله، كما هي معروضة في رموز خيمة الاجتماع. بلا شكّ، كلّما واصلتم التأمّل أعمق، وآمل أن تستخدموا هذا التعليم أيضًا لتعليم الآخرين عن موضوعات الإنجيل العظيمة مع صورة الخيمة، ستختبرون ما اختبرَتْه ملكة سبأ بعد أنْ رأت وسمعت سليمان. فبعد أن تركته وتأمّلت بكلّ مجده، قالت: "فَهُوَذَا ٱلنِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ." ١ ملوك ١٠: ٧). تهدف هذه الدراسة فقط إلى تشجيعنا على الدراسة الأعمق في أسفار العهد القديم، ففعل ذلك يساعد على فهم كنوز تعليم العهد الجديد أيضًا، لأنّه مُشبع برموز وإشارات العهد القديم. ولا يُظهر أيّ سفر ذلك بوضوح أكبر من السفر الأخير في الكتاب المقدس: رؤيا يوحنا. لكي يصف يوحنا الرسول ما رآه، استعار صور ورموز مجد الأرض الجديدة

من خيمة الاجتماع القديمة. وأسمعوا، في الختام، عيّنة صغيرة من سفر الرؤيا، ٢١: ٣ و٢٢: "وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ ٱللهِ مَعَ ٱلنَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَٱللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ... وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ ٱللهَ ٱلْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَٱلْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا." آمين ثمّ آمين.